المصلح العثماني مدحت باشا (1822–1884)

طالبة الماجستير: رشا حسن كميل

شعبة: تاريخ حديث معاصر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث

إشراف: أ.د إلهام يوسف

ملخص البحث:

أدى الضعف العام الذي أصاب الدولة العثمانية وشمل جميع مجالات الحكم داخلياً وخارجياً، بازدياد الضغط الأجنبي المتعدد الأشكال واسترسال الدول الأوروبية في التدخل المباشر في شؤونها الى الإصلاح لتدارك هذا الضعف وليشمل الإصلاح مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، وساهم في التوجه الى الإصلاح العديد من السلاطين والوزراء والصدور العظام، رغم اختلاف هؤلاء من حيث نزعاتهم وتوجهاتهم إلا أنهم التقوا في الإيمان بضرورة الإصلاح كضرورة حتمية للخروج بالدولة العثمانية الى بر الأمان فبذلوا في سبيل ذلك كل ما بوسعهم لإرساء قواعد الإصلاح عبر مؤسسات الباب العالي، ليكون من أبرز رواد الإصلاح مدحت باشا.

كلمات مفتاحية: الدولة العثمانية– مدحت باشا– الإصلاح– الدستور– الولايات.

The Ottoman reformer Medhat Pasha

(1822-1884)

Abstract

The general weakness that afflicted the Ottoman Empire and touched all areas of governance internally and externally, with the increase of foreign pressure in various forms and the urgency of European countries in direct intervention in its affairs to reform to remedy this weakness and to include reform in various political, economic, military and cultural fields, and many sultans and ministers contributed to the trend towards reform. And the great breasts, despite their differences in terms of their tendencies and orientations, they met in the belief in the necessity of reform as an inevitable necessity to bring the Ottoman Empire to safety, so they did everything in their power to establish the foundations of reform through the institutions of the Sublime Porte, to be one of the most prominent pioneers of reform, Medhat Pasha.

Key words: Ottoman empire- Medhat Pasha- Reform- Proclamation of the constitution-The State.

المقدمة:

شهدت الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حركة إصلاحيّة شملت كل ولاياتها في المشرق والمغرب، لمواجهة عوامل الضعف التي أصابت بنيتها الداخلية بفعل عدّة عوامل وأسباب تعددت بين داخلية وخارجية، وأدّت إلى هزائمها العسكرية، وكذلك بهدف تحديثها ليكون من أبرز روادها الذين تولوا تنفيذ الإصلاحات على أرض الواقع مدحت باشا، الذي تمكّن من إثبات مقدرته الإدارية في إدارته لعدّة ولايات، نظراً لما يتمتع به من قدرات في بث روح التجديد والتحديث، وإتباعه سياسة إصلاحية مستمدة من النهج الأوروبي، بهدف تحسين واقع الولايات التي تولى عليها وجعلها تلحق بركب الحضارة والتقدم.

إشكالية البحث: تتمحور الإشكالية حول دراسة إصلاحات مدحت باشا في عدة ولايات مختلفة لكل منها خصوصية معينة مع تأكيد ارتباطها بالدولة العثمانية، وتحت هذه الإشكالية تندرج بعض التساؤلات التي تفرض نفسها للإحاطة بجوانب البحث وهي:

- من هو مدحت باشا؟
- ماهي الظروف التي جاءت فيها إصلاحات مدحت باشا؟
- هل استطاع مدحت باشا تطبيق أفكاره الإصلاحية في الولايات التي تولى عليها؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كونه سيشكل مادة علمية جديدة في دراسة إصلاحات مدحت باشا في محاولة جادة منه لتدارك الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية وولاياتها، ولمواكبة التطور والتقدم في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الطراز الأوروبي الذي كان معجباً ومتأثراً به.

الجديد في البحث: الكشف عن الحركة الإصلاحية الواسعة التي طبقها مدحت باشا في عدة ولايات، دون التخصص في إصلاحاته ضمن ولاية واحدة على غرار البحوث السابقة.

أهداف البحث وأسئلته:

التعرف على وضع الدولة العثمانية، والدافع الى اتخاذ سياسة الإصلاح كحل لتغيير وضع الدولة الموسومة بالضعف والفساد، وسيحاول البحث الإجابة عن العديد من التساؤلات منها على سبيل المثال:

- بروز الإصلاح هل كان استجابة لوضع الدولة المتردي أو خطوة اقتضتها الظروف استجابةً للتأثير الأوروبي؟
- ما هي المجهودات المبذولة من قبل مدحت باشا باعتباره أبرز رواد الإصلاح؟
- هل استطاع مدحت باشا أن، يحرز النجاح في إصلاح الولايات مع تأكيد المركزية العثمانية؟

إن البحث بشموليته سيوضح الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها من خلال المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

فرضيات البحث: تناول البحث فرضيات عدة عن شخصية مدحت باشا، وتأثير هذه الشخصية ودورها الفعال، من خلال المناصب التي تبوؤها في العاصمة إستانبول من جهة، وتطبيق الإصلاح في الولايات التي تولى عليها من جهة ثانية.

حدود البحث: يرتبط موضوع البحث بإطار زمني يحدد بدايته عام 1822، وهو عام ولادة مدحت باشا، ليشكل نهايته عام 1884، وهو تاريخ وفاته، ليشمل الإطار المكاني الدولة العثمانية وولاياتها.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

سياسة الإصلاح: مجموعة من التصورات والمقترحات فرضتها الحاجة الداخلية للدولة العثمانية التي من شأنها إذا طبقت أن تحدث تغييراً الى الأفضل في المجالات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تحدثت عن مدحت باشا وإصلاحاته ومنها:

- مذكرات مدحت باشا، والتي قام بترجمتها، يوسف كمال بك حتاته، وهو من موظفي نظارة المعارف العثمانية، والتي أفادت البحث في تتبع مسيرة حياة مدحت باشا بكامل تفاصيلها من النشأة وحتى الوفاة وشكلت مذكراته خير مصدر للإصلاحات التي قام بها في الولايات التي أنيط إليه أمر إدارتها.
- كتاب تاريخ العرب الحديث (1500–1918) للدكتور عبد الكريم محمود غرايبة، ويندرج هذا الكتاب ضمن الكتب الهامة التي تم الاعتماد عليها، ويقع في خمسة

أقسام، تناول القسم الأول الأتراك في تاريخ العرب، والقسم الثاني التاريخ السياسي للعالم العربي في العهد العثماني، ومن ثم الثالث الذي تناول المجتمع العربي في العهد العثماني، ليبحث القسم الرابع في العرب والغرب في العهد العثماني فيما اختص القسم الأخير بالعرب في القرن العشرين، وقسم بدوره مرحلة العراق في العهد العثماني إلى ثلاثة أدوار، امتد الدور الأول من 1534–1703، أما الدور الثاني من 1703–1830، واختص الدور الثالث بالمدة من 1832–1918، وضمن هذا الدور ولاية مدحت باشا على بغداد 1869، والتي حازت على جانب كبير من الدراسة.

- رسالة ماجستير بعنوان الإدارة العثمانية في ولاية سورية لعبد العزيز محمد عوض، تحتوي هذه الرسالة على مقدمة وإحدى عشر فصلاً، بحث في الفصل الأول التنظيمات العثمانية وأثرها في حكم الولايات، فيما اختصت الفصول الأخرى بالإدارة المالية ونظام الضرائب والمواصلات والجهاز الإداري والعسكري، إضافة إلى عدد من الملاحق الهامة، والرسالة التي نحنُ بصددها اعتمد في كتابتها على مجموعة من الوثائق العثمانية المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول، وسجلات المحاكم الشرعية في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق.
- كتاب زعماء الإصلاح في العصر الحديث للدكتور أحمد أمين، وتضمن هذا الكتاب سيرة عشرة من المصلحين ويصوّر فيه حياة المصلحين ونوع إصلاحهم، هادفاً أن يكون كتابه باعثاً للشباب يستثير هممهم ليحذون حذو أولئك المصلحين وينهضون بأممهم، ومن بين أبرز هؤلاء المصلحين مدحت باشا، وهذا ما قدم فائدة كبيرة في تتبع شخصية مدحت باشا من النشأة ثم الإصلاح حتى الوفاة.
- كتاب العثمانيون في ثلاث قارات لمؤلفه إيلبير أورتايلي، ترجمة عبد القادر عبد اللي، ويعرض هذا الكتاب الشكل الإداري الذي كان متبعاً في الدولة العثمانية ونظامها القومي والحقوقي وعلاقاتها الدبلوماسية وغير ذلك وضمنه حتماً إدارة مدحت باشا.
- كتاب تكوين العرب الحديث للدكتور سيار الجميل، يقسم هذا الكتاب إلى مقدمة ومدخل موضوعي عالج فيه الكثير من المفاهيم الأساسية من أبرزها مفهوم

الوطن العربي، وعشرة فصول حرص أثناء ترتيبها على إبراز الحلقات التاريخية في التطور السياسي للمنطقة العربية وأقاليمها تحت حكم الدولة العثمانية، الممتدة من العراق حتى الجزائر، ويختص الفصل التاسع بإصلاحات الدولة العثمانية في بلاد الشام والعراق، خاتماً كتابه بالفصل العاشر الذي بحث فيه مواضيع مختلفة ضمن إطار الدولة العثمانية وعلاقاتها بأوروبا وروسيا، وتبلور الظاهرة الاستعمارية من خلال منظور المسألة الشرقية وبداية عصر الغزو الاستعماري وبالتالي فقدان الدولة العثمانية لأبرز أقاليمها العربية.

- كتاب تاريخ مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي العثمانية بقلم عزراسمويل ساسون وهو مفتش مطبوعات ولاية حلب ومدرس في مكاتبها سابقاً، ويؤرخ هذا الكتاب حياة مدحت باشا بكامل تفاصيلها، وسعيه في سبيل نشر الحرية والمساواة والعدالة.
- كتاب تاريخ لإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، تأليف السفير الفرنسي انكه لهارد، نقله الى العثمانية علي رشاد، وترجمه الى العربية محمود علي عامر، كتب فيه عن التاريخ العثماني وما يتعلق بالقانون والأنظمة والإصلاحات التي كانت الدولة العثمانية تحاول القيام بها، وما استطاعت تنفيذها من عهد السلطان (محمود الثاني) وحتى أواخر عام 1882، ويندرج ضمن ذلك إصلاحات مدحت باشا.

منهج البحث وإجراءاته:

للإلمام بجوانب البحث وفق دراسة منهجية وعلمية تم الاعتماد على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة التاريخية من المصادر والمراجع وتحليلها وتقدها، مع الالتزام بمنهجية البحث التاريخي سواء ما تعلق منها بالمعرفة التاريخية المنظمة القائمة على الشمول والجمع والعرض وتقاطع المعلومات عما كتب عن إصلاحات مدحت باشا يضاف الى ذلك المعالجة الموضوعية المتعلقة بالصياغة والتركيب الصحيح، وبالتالي تقديم دراسة علمية تعتمد على القراءة الصحيحة للأحداث التاريخية ووضعها في إطار يخدم القراء والباحثين.

1- نشأة مدحت باشا:

مع مدحت باشا تكتسب الصورة النمطية للمصطلح العثماني بعداً جديداً بلا جدال، والانغراس فيما يمكن تسميته بالإمبراطورية العميقة الأغوار، فكان أول مصلح يجعل من هذا العالم المختبر الرئيسي [1]للتنظيمات،[2] وُلِدَ أحمد شفيق وهو الاسم الحقيقي لمدحت باشا في الأستانة عام 1822م،[3] لأب يدعى الحاج حافظ محمد أشرف وهو عالماً دينياً تولى منصب القاضي في العديد من ولايات الدولة العثمانية، نشأ مدحت باشا نشأة دينية، فحفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره فلقّب بالحافظ، وهو لقب لكل من يحفظ القرآن من الأتراك، فكان اسمه الحافظ شفيق، أما مدحت الذي غلب عليه فهو اسم ديواني[4]،حيث أدخله والده عام 1834م،الى ديوان همايوني[5]،فتعلم الخط الديواني الخاص بهذا القلم وكانت العادة الجارية بتسمية من يتخرج من هذا الديوان[6] باسم جديد فأطلق عليه اسم مدحت[7]، فقد كان أبوه في ذلك الحين من أكبر الميالين الى الترقي والعمران ومن أعظم السياسيين بين رجال الدولة ومثال للاستقامة والنزاهة وعنوان الفضل والكمال، فكان لابنه مدحت أول أستاذ، وكان تقدُّم مدحت باهراً ونجاحه سريعاً.[8]

---

[1]التنظيمات: تمثلت في سلسلة طويلة من القوانين والنظم، فصدر في هذه السلسلة ثلاثة قوانين لفتت نظر أوروبا، وكان ذلك هو الهدف الحقيقي من وراء إصدارها، وهذه القوانين هي خط كلخانة 1839، وخط شريف همايون 1856، وإعلان الدستور العثماني 1876.

عمر، عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1516-1922)، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص274.

[2]مانتزان، روبير: تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج2، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1992، ص71.

[3]الثاني، عبد الحميد: مذكراتي السياسية، تر: علي وهبي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1977، ص 11.

[4]بعيو، غانية: التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية، مذكرة ماستر، جامعة الجزائر، 2009، ص92.

[5]الديوان الهمايوني: بمثابة مجلس وزراء موسع، وكان سلاطين الفترة الأولى يحضرون جلساته ويرأسون اجتماعاته، واستمر هذا التقليد حتى عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566). للمزيد:

ياغي، إسماعيل أحمد: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1997، ص70.

[6]الديوان: المجلس الأعلى للحكومة السلطانية ويدخل ضمن أعضائه الصدر الأعظم وشيخ الإسلام وغيرهم من كبار الموظفين، ويحفظ فيه سجلات الدولة.

دولينا، أنينل اسكندرفنا: الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 175.

[7]هيشر، منيرة: العراق في عهد مدحت باشا، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018، ص24.

[8]ساسون، عزراسمويل: مدحت باشا، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، 1910، ص6.

2- تعليمه:

تلقى مدحت باشا العلوم الابتدائية في بعض مكاتب إستانبول فأحسن اللغة التركية[9]، ثم تنقل مع والده في الولايات التي تولى فيها القضاء يتعلم منه، وعند عودة والده الى إستانبول ألحقَهُ بأحد أقلام الحكومة يساعد الكتبة ويتعلم منهم بعض الوقت وبعضه الآخر يقضيه في جامع الفاتح[10]،حيث كانت حلقات الدروس فيه تشبه حلقات الأزهر[11]، فكان يتعلم فيه اللغة العربية والفارسية والدروس الدينية والنحو والمنطق والفقه والفلسفة التي كانت تسمى الحكمة،[12] وبقي على هذا الحال الى أن ناهز العشرين، تلميذاً في دواوين الحكومة، وتلميذاً في جامع الفاتح، إلا أن ثقافته كانت ثقافة ضعيفة فلا تاريخ ولا جغرافية ولا رياضة ولا لغة أجنبية، لذلك شعر مدحت باشا بنقصه الثقافي، فأخذ يطالع الكتب بنفسه،[13] ثم رأى الحاجة ماسة لتعلم لغة أجنبية، فدرس اللغة الفرنسية لأنه كان معجباً بمبادئ الثورة[14] الفرنسية،[15] وزار عدّة دول أوروبية وكان قصده التجول كإداري حازم وسياسي خبير، فاطلع على كل شيء لاحظه بإمعان وراقبهُ وقارنهُ ليدرك مناقبهُ ومضاره

---

[9] هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 25.

[10]جامع الفاتح: ويعرف بكنيسة أيا صوفيا سابقاً، وعندما فتح السلطان محمد الفاتح (1451-1481) القسطنطينية عام 1453، أمر بتحويلها إلى مسجد لفتح المدينة عنوة.

الصباغ، عبد اللطيف: تاريخ الدولة العثمانية، بنها، 2013، ص 59.

[11]جامع الأزهر: هو أول جامع أسس في القاهرة، أنشأه جوهر الصقلي عام 970م، وكان الأزهر الشريف في أول نشأته موضوع عناية الخلفاء الفاطميين في مصر، ومن بعدهم الملوك والأمراء والوزراء، وذوي الجاه الذين تنافسوا في خدمة هذا الجامع، يتعهدون أهله، ويشرفون على حلقات الدروس فيهز للمزيد:

أبو العيون، محمود: الجامع الأزهر، مطبعة الأزهر، 1949، ص 13.

[12]تقروت، أحلام – أوسال، حياة: إصلاحات مدحت باشا في العراق، مذكرة ماستر، جامعة الجيلالي، 2015، ص 23.

[13]أمين، أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948، ص 31.

[14] الثورة الفرنسية: قامت في 14 تموز عام 1789، وشعارها الحرية والمساواة والإخاء، وكان سقوط سجن الباستيل في أيدي ثوار الثورة الفرنسية أهم علامة لانتصار الثوار وسقوط المجتمع الإقطاعي في أوروبا.

عوض، لويس: الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص7.

[15]الأسدي، كاظم: مدحت باشا والياً لسوريا، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد السابع، العدد الثاني، 2009، ص 285.

ليجتهد في إدخال ما رآه منها نافعاً ومفيداً ويخدم بلاده ورفاهيتهُ،[16] كما زادتهُ خبرة في كافة الميادين الاجتماعية والإدارية والسياسية.[17]

3- المناصب التي تولى عليها مدحت باشا:

أرسل مدحت باشا في عام 1842، ليعمل مساعد بجانب كاتب تحريرات الشام، واستمر في الوظيفة مدة سنتين ونصف السنة، انتقل بعدها ليعمل كاتباً بولاية[18] قونيه[19] عام 1845م، وفي عام 1850م رئيساً لقلم الصدارة،[20] ثم تدرج في الوظائف الحكومية موثقاً أواصر علاقاته ببعض ذوي الشأن من رجال الدولة لتعهد إليه في عام 1852م مهمة رئاسة لجنة تفتيشية في إيالتي دمشق وحلب، فنجح في مهمته نجاحاً باهراً وحظيَّ باحترام رؤسائه،[21] حيث أنه وقع خلاف بين ملتزمي جمارك الشام وحلب، واشتدّ هذا الخلاف وتأخر بسببه وصول مبلغ خمسين كيس من النقود للحكومة، والتي أرسلت بدورها مدحت باشا للتحقيق في القضية، فعاد بعد ستة أشهر وقد استرد مبلغ ألف وأربعمائة كيس من مال الحكومة المسلوب من واردات الجمارك،[22] وتقلدّ بعدها بين عامي 1853م و1858م، وظائف عديدة في البلقان وودين وسلسترة،[23] فاستطاع لفت الأنظار إليه بسبب القوة والحنكة التي أظهرها في إدارة الأزمات لذلك تم ترقيتهُ الى منصب الوالي وتولى عدة ولايات.[24]

---

[16] أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 25.

[17] الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 285.

[18] ولاية: المنطقة الإدارية التي تقع تحت إدارة الوالي.

صابان، سهي: معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، الرياض، ط1، 2005، ص 234.

[19] قونية: تقع في جنوب آسيا الصغرى، يحدّها شمالاً أنقرة، وغرباً آيدين، وشرقاً أضنة، وجنوباً بحر سفيد كورفز أنطالية. للمزيد:

الشرقاوي، أحمد: جغرافية الممالك العثمانية، دار البشير، ط1، 2018، ص191.

[20] الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 285.

[21] النجار، جميل موسى: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد "من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991، ص 145.

[22] قلعجي، قدري: مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، دار العلم، بيروت، ط3، 1958، ص 10.

[23] طقوش، محمد سهيل: تاريخ العراق الحديث والمعاصر، دار النفائس، بيروت، ط1، 2015، ص 96.

[24] هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 27.

أ- ولاية مدحت باشا على الصرب وبلغاريا 1860م:

تبوأ محمد باشا القبرصي مركز الصدارة فاختار مدحت باشا لحل مشاكل البلقان التي كانت تزداد اضطراباً، حيث كانت تعاني من الفتن والثورات بسبب ظلم الولاة،[25] فقد كان حاقداً على مدحت، فأرسله إليها لعله يفشل أو يقتل، وسافر مدحت ومعه قوة عسكرية، وقضى ستة أشهر في قمم الجبال ومغاورها يقبض على أشقيائها وأثبت إدانة أربعة منهم وأعدمهم، وأرسل ثمانين شخصاً الى إستانبول وهدأت الفتنة فوضع مدحت باشا مشروعه الإصلاحي،[26]معنياً بتحقيق الأهداف التالية:

- المساواة بين رعايا السلطان.
- تركيز القوة الإدارية والقضائية في يد رجال الحكومة.
- خلق الموظف الأمين الذي يستطيع أن يلائم بين مصالح حكومته والرعية.
- إشراك الأهالي مع الإدارات المختلفة في إصلاح إمور البلاد.
- سد الثغرات التي تنفذ منها الدول الأجنبية للتدخل في إمور الولايات.[27]

ب- ولايته على نيش[28] عام 1861:

كانت ولاية نيش خالية من الخطوط الحديدية، والنقابات الزراعية، والمواصلات التجارية، وعرة المسالك وصعبة الطرق وقد احتكر فيها الأجانب كافة أنواع التجارة، مما عاد على الأهالي بالخسارة،[29]فبدأ مدحت باشا بتطبيق برنامجه الإصلاحي الشامل، فعمل على:

- نشر العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين سكان المنطقة.
- عدم التمييز بين المسلمين والمسيحيين، فأشرك الجميع في إدارة شؤون الولاية.

---

[25]محمد باشا القبرصي: مشير فيلق بلاد العرب، وتولى منصب الصدارة العظمى عدة مرات، فكانت الصدارة الأولى عام 1854، والثانية 1859، والثالثة 1860.

قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص10- 12.

[26]أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 32.

[27]نوار، عبد العزيز سليمان: تاريخ العراق الحديث، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968، ص353.

[28]نيش: تقع جنوب الصرب وتقع على الطريق الواصل بين إستانبول وسلانيك من دول البلقان، وهي حالياً تقع الى الشمال الغربي من مدينة صوفيا الواقعة على الحدود البلغارية.

هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 27.

[29]ساسون، مدحت باشا، ص 26.

- أنشأ مجالس للبلدية وأعاد هيكلة الإدارة، وخصص دوائر للشرطة.
- أعفى المزارعين من الضرائب شريطة أن يطوروا ويزيدوا في كمية الإنتاج.
- خصص جنود لحماية الحدود وحراسة الطرق ليعم الأمن والاستقرار.
- حثَّ على التعليم ووفر كل متطلباته.[30]

وقد استمر في ولايته على نيش حوالي ثلاث سنوات، ثم انتقل بعدها الى ولاية[31] الطونة.[32]

ج- ولايته على الطونة 1864:

رأى كل من عالي باشا[33] وفؤاد باشا[34] أنه يمكن استخدام إصلاحات مدحت باشا كأساس لنظام عام للولايات، فاستدعيا مدحت باشا، وتدارسا الموضوع واتفقوا على ضم سلستريا وودين ونيش بعضها الى بعض لتكون ولاية الطونة التي سينفذ فيها أول تجربة لإصلاح الولايات، وبعد دراسات عديدة تم وضع قانون[35] الولايات[36] عام 1864،

---

[30] هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 28.

[31] الطونة: ولاية عثمانية تقع على نهر الدانوب ويحدها شمالاً الافلاق وجنوباً بلاد البلغار.

هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 28.

[32] حسين، شايب الذقن: إصلاحات مدحت باشا في العراق، مذكرة ماستر، جامعة محمد بو ضياف، 2015، ص 16.

[33] عالي باشا: من أبرز رجال الإصلاح والمؤمنين به، عمل على إصلاح الدولة العثمانية سواء كان في منصب الصدارة العظمى أم غيرها من مناصب الدولة الكبرى، وعيّن سنة 1854 رئيساً للمجلس الأعلى للتنظيمات ثم في الصدارة العظمى، ومن أعماله الإصلاحية مساهمته أيضاً في إصدار خط شريف همايوني 1856.

تومي، حمزة: الإصلاحات العثمانية بين المتطلبات الداخلية والضغوط الأوروبية، مذكرة ماستر، جامعة محمد بو ضياف، 2015، ص 10.

[34] فؤاد باشا: عينه السلطان عبد العزيز صدراً أعظماً عام 1861، ولم تدم صدارته الأولى طويلاً وبعد بضعة أشهر أُعيد إليها، فبذل جهده في إصلاح المالية.

فريد بك، محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، 1981، ص 540.

[35] قانون الولايات: صدر عام 1864، وهو نظام خاص بإعادة تنظيم الولايات العثمانية، ويعين على كل منها والي إلى جانبه مجالس استشارية ومجالس عامة للولاية، كان القصد منها إشراك السكان في البحث بالمسائل الخاصة بولايتهم مع السلطات الحاكمة.

طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ص 97.

[36] نوار، تاريخ العراق الحديث، ص 354.

وبعدها ذهب مدحت باشا الى ولاية الطونة التي ضمت منطقة كرنوفا وصوفيا وروستشوك وفارنا وفيدين تقريباً، وكان مركز ولاية الطونة هو روستشوك اليوم، وهذا المدينة الواقعة على ضفة نهر الطونة غنية منذ القدم بسبب التجارة النهرية، وقد نما حجمها ثلاثة أضعاف في فترة ولاية مدحت باشا، حيث أنشأ فيها قصر الولاية، وأسس فيها شرطة سياسية سرية وهكذا كان مدحت باشا مؤسس الشرطة السرية فأدى دوره في توفير أمن الولاية، وأسس مطبعة الولاية عام 1865 وبدأ باستصدار جريدة الولاية التركية– البلغارية باسم طونة، وكانت أول نموذج لجرائد الولايات، وقد أدى دوراً مهماً في الصحافة البلغارية، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع،[37] كما أنشأ المدارس في أنحاء الولاية، وأنشأ المستشفيات وأصلح من الطرق نحو ألفي ميل، وبنى نحو ألف وأربعمائة جسر[38]، إلا أن أكثر ما كان ملفتاً للنظر هو الطرق الحديثة المستخدمة في الزراعة،[39] حيث عمل على تأسيس البنوك الزراعية،[40] لتخليص الفلاحين من براثن المرابين كما أسس شركة عربات الركوب والنقل لتسير في الطرق الزراعية وأحدث لها المحطات الخاصة بها،[41]وقد خصص للدولة مزارع خاصة بها لتعود بالدخل المادي عليها، كما ألّف المجالس الإدارية والبلدية[42]، ونظراً لأن روسيا كانت تشكل خطراً مباشراً على الطونة، لم يعتمد مدحت باشا فقط على الجيش العثماني في الدفاع عنها، بل اعتمد كذلك على المتطوعين الذين يحصلون على مرتب من الحكومة ليصد بهم أي هجوم مفاجئ وأنشأ لهذا الغرض نقاط حراسة على طول الحدود وبعد عودته من ولاية الطونة الى إستانبول، طبّق عدداً هاماً من تلك الإصلاحات ولنجاحه هذا أسند إليه عام

---

[37]ايلبير أورتايلي، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبد القادر عبد اللي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2014، ص 93.

[38] أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 33.

[39]لهارد، انكه: تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، تر: محمود علي عامر، دار رسلان، دمشق، 2017، ص 318.

[40]لونكرك، ستيفن هيمسلي: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر: جعفر الخياط، مطبعة الأهلية، بغداد، 1941، ص222.

[41]حتاته، يوسف كمال بك: مذكرات مدحت باشا، مطبعة هندية، مصر، ط1، 1907، ص142.

[42]هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 28.

1868 السلطان[43] عبد العزيز[44] رئاسة مجلس[45] الشورى،[46] لكن مدحت باشا لم يستمر طويلاً في منصبه حيث اضطر لتقديم استقالته[47] من هذا المنصب حسماً للخلافات التي نشبت بينه وبين الصدر الأعظم نديم باشا[48] فقدم مدحت باشا استقالته فقبلها السلطان وأسند إليه إدارة شؤون الفيلق الهمايوني السادس[49] مع ولاية بغداد.[50]

د- ولاية مدحت باشا على بغداد 1869:

وصل مدحت باشا بغداد في الثلاثين من نيسان عام 1869، ولم تدم ولايته فيها أكثر من ثلاث سنوات، ولكنه في هذه المدة القصيرة حقق جانباً كبيراً من الإصلاحات، وترك

---

[43]السلطان: يعني الحجة وسميَّ السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الانقياد لهُ، وقُيل إنه مشتّق من السلاطة وهي القهر والغلبة لقهره الرعية وانقيادهم له، وقيل مشتّق من السليط لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق. مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 2000، ص33.

[44]السلطان عبد العزيز (1861-1876): ولد عام 1830، جلس على العرش عام 1861، وخلع عام 1876، قضى خمسة عشر عاماً على العرش وامتاز عهده ببعض الإصلاحات على أيدي الصدرين الأعظمين علي باشا، وفؤاد باشا.

الثاني، عبد الحميد: مذكراتي السياسية، تر: علي وهبي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1977، ص26.

[45]مجلس الشورى: من أعلى المجالس في الدولة العثمانية، ويبت في إمور المقاولات الخاصة بالمشاريع الحكومية، وإمور التقاعد وتدقيق النظم وتمحيصها. للمزيد:

صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 141.

[46]نوار، تاريخ العراق الحديث، ص 354-355.

[47]حسين، إصلاحات مدحت باشا في العراق، ص 17.

[48]نديم باشا: تقلد مناصب عديدة حتى عين صدراً أعظماً خلفاً لعالي باشا، أُقيل ثم أُعيد للصدارة أكثر من مرة، وكان الوزير الأول في عهد السلطان عبد العزيز، وفي عهد السلطان عبد الحميد عينه وزيراً للداخلية حتى وفاته عام 1881.

هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 29.

[49] الفيلق الهمايوني السادس: تولى مهمة الحماية على العراق في عام 1848، وجعلت مدينة بغداد مركزاً له، ونطاق عمله جميع الأراضي العراقية، وكان جيشاً قائماً بذاته، له قائد عام برتبة مشير وأركان حرب وأمراء وقواد لوحداته المختلفة وعدد كبير من الضباط والجنود، يتبع الفيلق السادس باب عسكر في إستانبول الذي يقوم بتعيين القادة. للمزيد:

كاظم، محمد جودي - محيسن، يسرى: قانون التجنيد العسكري العثماني وتطبيقه في ولايات العراق الثلاث، مذكرة ماستر، جامعة القادسية، 2018، ص 11.

[50] طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ص 97.

آثاراً لا يزال بعضها ماثلاً حتى اليوم،[51] ويبدو أن بعض كبار الساسة في الدولة العثمانية الذين خشوا من شعبية مدحت باشا تمكنوا من إقناع السلطان عبد العزيز (1861–1876)، بإبعاده الى بغداد، إما لمقدرته على التعامل مع الأجانب لا سيما البريطانيين الذين تغلغلوا في ربوع العراق أو أنه أُرسِل عمداً بفعل قرب انتهاء حفر قناة السويس،[52] ثمّ أن هذه الشخصية القوية هي القادرة على توجيه شؤون العراق وفق أهداف الدولة العثمانية نحو تقوية قبضتها على السواحل العربية في الخليج العربي وجعل العراق طريقاً عالمياً يضاهي قناة السويس،[53] وعلى الرغم من هذه الظروف التي عين فيها مدح باشا والياً على بغداد فإن عهده لهذه الولاية يُعدّ نقطة تحول في تاريخها العثماني، نظراً لتلك الإنجازات والأعمال الإصلاحية التي قام بها، حتى وصف بأنه "أعظم والي عثماني أرسل الى بغداد، وأعظم الولاة العثمانيين في بغداد شهرة وأكثرهم نشاطاً"[54]، وذلك بفضل قدراته الإدارية المتميزة والمواهب الشخصية المتعددة التي اتصف بها، حيث قسم العراق الى ولايتان هما بغداد والموصل وشملت الأولى بغداد نفسها والبصرة، وولاية الموصل التي شملت الموصل وشهرزور،[55] وقسم هذه الولايات بدورها إلى ألوية وأقضية ونواح، وقد كان هذا التقسيم ضرورياً لتشكيل الإدارة الجديدة بموظفيها الجدد ذوي الاختصاصات المحددة،[56] كما اهتم اهتماماً بالغاً بالجيش، فعمل على تطبيق قانون التجنيد، وجلب الى الجنود آلات موسيقية كاملة للترفيه عنهم، وأنشأ

[51]بطي، رفائيل: الصحافة في العراق، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1955، ص 11–12.

[52]قناة السويس: تقع قناة السويس في مركز محافظة السويس في مصر، وتعرف القناة باسمها والتي تعد شريان مصر الحيوي، وتم إنشاء هذه القناة عام 1869، لتصل أوروبا بالمشرق، وتختصر المسافة بينها، ويبلغ طولها الإجمالي 183كم، وأقصى عرض لها 150م، أما عمقها فهو حوالي 15م، تمر القناة بالبحيرات المرة، وبحيرة التمساح، وأُنشأ حديثا تحتها نفق يربط ضفتي القناة الشرقية والغربية بطريق مزدوج للسيارات.
شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص 202.

[53]طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ص 97.

[54]النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد "من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني"، ص 150.

[55] طربين، أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986، ص 323.

[56]عمر، تاريخ المشرق العربي (1516–1922)، ص 393.

معمل الخبز للجنود (الاكمكخانة)، وبنى الثكنة العسكرية (القشلة)، وأنشأ معملاً لنسج ثياب الجنود (العباخانة)،[57] وأولى عناية خاصة للتعليم والصحافة، فعمل على إنشاء المدارس الحديثة، وأنشأ جريدة رسمية سماها "الزوراء"، بقيت تصدر الى أيام خروج العثمانيين، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية،[58] ونجح في توطين العشائر واستقرارهم حيث فوّضَ[59] الأراضي لصغار المزارعين، وعمل على إدخال نظام الطابو[60] للحصول على سندات الملكية[61] وألغى العديد من الضرائب وعدّل بعضها الآخر،[62]ولم يغفل عن العناية بالصحة فعمل على بناء مستشفى عام سمّي بمستشفى الغرباء، وهيّأ الأطباء والمعدات اللازمة له، وأقام دوائر الحجر للحد من تسرب الأمراض الوافدة الى بغداد من الهند وإيران عن طريق الحجاج الى الأماكن المقدسة وعن طريق القوافل التجارية[63] وكذلك اهتم بالمواصلات البرية والنهرية وعمل على إنشاء[64] الترامواي،[65] كما

---

[57]الأعظمي، علي ظريف: مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث، مطبعة الفرات، بغداد، 1926، ص 240-241.

[58]الكرملي، أنستاس ماري: خلاصة تاريخ العراق، مؤسسة هنداوي، 2017، ص 171.

[59]تفويض الأراضي: هو أن يمنح الشخص حق التصرف بالأرض من الدولة مباشرة.

نصار، عبد العظيم عباس: الأراضي الأميرية في وثائق عثمانية، مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، المجلد 4، العدد 6-7 2010، ص 138.

[60]نظام الطابو: نظام المتصرف بالأرض، أو من خولته الحكومة العثمانية التصرف بالأراضي العائدة رقبتها للخزينة العامة، بعد وضعها بالمزايدة العلنية، وتفويض من تؤول إليه قطعة من الأرض الأميرية حق الانتفاع بعد دفع البدل، ويبقي الملك للحكومة ويرث الأبناء حق الانتفاع عن آبائهم. وإذا أهمل الأرض أربع سنوات تعطى لغيره، أما سندات الطابو فقد دعت الحاجة لإعطاء الأهالي وثائق خاصة من أجل طمأنتهم على أموالهم غير المنقولة.

الجميل، سيار: تكوين العرب الحديث، دار الشروق، عمان، ط1، 1997، ص398.

[61]نظمي، وميض جمال عمر: الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بغداد، ط2، 1985، ص53-54.

[62]إيمان، سليماني: الوالي مدحت باشا ونشاطه في الدولة العثمانية بين العمالة والإخلاص (1822-1884)، مذكرة ماجستير، الجزائر، جامعة بو ضياف، 2019، ص19.

[63]اللامي، فردوس عبد الرحمن كريم: الحياة الاجتماعية في بغداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2017، ص 452.

[64]الترامواي: أصل الكلمة من لفظة tram way الإنكليزية، والترامواي هو وسيلة نقل حديثة عُرفت في القرن التاسع عشر، ويتألف من سكة حديد تسير عليها عربات تجرها الخيول.

عبد الرزاق، صلاح: إصلاحات مدحت باشا في بغداد، مجلة الزمان، دراسة (3-4)، 2019/11/23، ص2.

[65]العلاف، عبد الكريم: بغداد القديمة، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1960، ص 15.

انتهز مدحت باشا فرصة زيارة شاه إيران ناصر الدين الى بغداد لمناقشة كل الحوادث المختلف عليها بين بغداد وحكومة إيران،[66] وفي عام 1872، صدر فرمان سلطاني بعزل مدحت باشا عن ولاية بغداد بعد حكم دام قرابة ثلاثة سنوات وثلاثة أسابيع.[67]

هـ- صدارة مدحت باشا الأولى والثانية:

بعد عودة مدحت باشا من بغداد، وخلال هذه الفترة كانت الدولة العثمانية تمر بظروف صعبة أبرزها ضغط الدول الأوروبية على السلطان عبد العزيز (1861-1871)، ليقوم بإصلاحات داخل مؤسسات الدولة العثمانية وكان السلطان عبد العزيز يدرك ما يتمتع به مدحت باشا من احترام الدول الأوروبية ومقدرته على العمل الإداري، فأصدر فرمان[68] بتعيينه صدراً[69] أعظم في آب عام 1872،[70]ولكنه أعفي من منصبه بعد شهرين ونصف لاختلافه مع السلطان عبد العزيز في الرأي والفكر،[71] حيث كانت الدولة العثمانية تواجه اضطرابات خطيرة جداً تزامناً مع إعلان الدولة العثمانية إفلاسها كنتيجة لبذخ السلطان، فأصبح من الضروري انتزاع السلطنة منه قبل أن يحل بها الانهيار أو التمزيق بين القوى الأجنبية[72]، واعتبر أعضاء العثمانيون الجدد[73] أن

---

[66]حتاته، مذكرات مدحت باشا، ص169.

[67]الكرملي، خلاصة تاريخ العراق، ص 171.

[68]الفرمان: لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور موقّع من الملك، استعمله الأتراك في العصر العثماني بمعنى الأوامر السلطانية.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996، ص 338.

[69]الصدر الأعظم: هو رئيس الديوان، ويهيمن على شؤون الجيش ويقود المعارك الحربية حين تدعو الضرورة ويحمل الخاتم السلطاني رمزاً لقوته.

الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص 360.

[70]الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 285.

[71]ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ص 175.

[72]رامزور، ارنست: تركية الفتاة وثورة 1908، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة فرنكلين، بيروت، 1960، ص 42.

[73]العثمانيون الجدد: أطلقوا على أنفسهم اسم (يكي عثمانلي) أي العثمانيون الجدد، وكانوا مستائين من الوضع في الدولة العثمانية، ومن نتائج التنظيمات المزرية، ومن تغلغل الرأسمال الأجنبي، ويتلخص برنامجه في تنمية الرأسمالية الوطنية، ووضع نظام دستوري برلماني، وكانوا على صلة وثيقة بمدحت باشا. للمزيد:

مدحت باشا قائداً طبيعياً لفكرهم[74]، وكان مدحت باشا يرى أن الشعب يجب أن يكون صاحب السلطة الأولى في البلاد، وإرادته فوق إرادة السلاطين[75]، فاتفق مع حسين عوني رئيس دار الشورى، وسليمان باشا قائد المدرسة الحربية على عزل السلطان عبد العزيز[76] وبالاتفاق كذلك مع قناصل الدول الأوربية باستثناء روسيا[77] وبدعم من شيخ الإسلام[78] الذي أصدر فتوى بعزل السلطان عبد العزيز لإسرافه، واغتصابه حقوق الشعب ومخالفة أحكام الشريعة، تم الانقلاب في الثلاثون من شهر أيار عام1876 [79]، وشهد سراي ضولمة باغجة[80] عملية خلعه عن العرش[81] وتم تعيين السلطان مراد الخامس (1876)، وعقدت إنكلترا آمالها في سلطان مثل السلطان مراد الخامس وصدراً أعظم مثل مدحت باشا، فالمقصود النهائي للدول الأوربية القانون الأساسي ونظام

لوتكسي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، ط8، 1985، ص 377.

[74] بني المرجة، موفق: صحوة الرجل المريض، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984، ص 55.

[75]قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص 58.

[76]بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ص 55.

[77]الدهيبي، حسين: الدور السياسي للعلماء والأعيان شيوخ الحرف في مدينة طرابلس الشام (1840–1914)، إطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بيروت العربية، 2016، ص 41.

[78]شيخ الإسلام: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، وكان مسؤولاً عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، واستخدم في نهايات القرن السابع عشر ميلادي.
صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية، ص 142.

[79]الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 285.

[80]سراي ضولمة باغجة: هو أكبر سراي أقيم في حي بشيكتاش على الساحل الأوربي في مدينة إستانبول، الساحة التي تنتشر عليها ملحقات السراي وقصوره يمتد تاريخ تزيينها منذ زمن السلطان بايزيد الثاني (1481–1512)، ثم ألحق به القصر الذي شيده السلطان سليم الثاني (1566–1574) وأضيفت إليه ملحقات في عهد السلطان أحمد الأول (1603–1617)، واكتملت كل منشآته وملحقاته في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.
المرسى، الصفصافي أحمد: إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999، ص 131

[81]المرسى، إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، ص 133.

الحكم المقيد ولم يكن للارتقاء بالدولة العثمانية وإعلاء شأنها بل لتحريض الشعوب والأديان المختلفة تحت شعار الحرية لتقسيم الدولة العثمانية لدويلات صغيرة.[82]

وكان لنبأ الانقلاب وقع حسن استقبله الناس بحماس في كل أنحاء الدولة العثمانية وفي أوروبا[83]، إلا أن السلطان مراد الخامس لم يستمر في الحكم سوى ثلاثة وتسعين يوماً بسبب سوء حالته العقلية[84] ولاستحالة شفاء السلطان مراد الخامس في المدى القريب، ولأن مدحت باشا من مؤيدي الحركة الدستورية كلفته هيئة الوزراء بقرار صدر عنها بالتفاوض مع عبد الحميد[85]، فوجد في عبد الحميد سلطاناً قد يتعاون معهم لإحياء الإمبراطورية المتهاوية.[86]

وقد تم تعيين السلطان عبد الحميد الثاني[87] عام 1876، بدلا من أخيه مراد الخامس[88]، وتم تتويجه في أيلول في مسجد بايزيد[89] بعد أن اشترط عليه مدحت باشا التنازل عن الحكم في حال شفاء مراد الخامس من مرضه[90]وإعلان القانون الأساسي

---

[82] كوندز، أحمد آق – أوزتوك، سعيد: الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، مصر، 2008، ص 422-423.

[83] برجاوي، سعيد: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية، بيروت، 1993، ص 253.

[84] بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ص 55.

[85] أوغلي، عائشة عثمان: والدي السلطان عبد الحميد الثاني، دار البشير، عمان، ط1، 1991، ص 13.

[86] رامزور، تركية الفتاة وثورة 1908، ص 43.

[87] السلطان عبد الحميد الثاني (1876– 1909): تولى السلطنة عام 1876، وخلع عام 1909، توفي 1918، ومن أهم ما يكشف عن تاريخه هو الفهم العميق للمؤامرة اليهودية الصهيونية بكل أبعادها وأهدافها. للمزيد: الجندي، أنور: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار ابن زيدون، بيروت، ط1، 1987، ص96.

[88] السلطان مراد الخامس (1876): ولد في 25 تموز 1848، تولى السلطنة بعد عزل عمه السلطان عبد العزيز، وعمره سبع وثلاثون سنة وعُزِل في العاشر من آب بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، للمزيد: شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي في (العهد العثماني)، المكتب الإسلامي، ط4، 2000، ص 181.

[89] مسجد بايزيد: بني في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481–1512)، حيث أمر بإنشاء جامع يحمل اسمه في إستانبول، وبناه المعماري خير الدين، وتم الانتهاء منه عام 1506، وتم الاستغناء عن الأعمدة التي كانت موجودة في المساجد العثمانية السابقة.

زين العابدين، محمود: عمارة المساجد العثمانية، دار قابس، بيروت، ط1، 2006، ص 46.

[90] الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 285.

واستشارة الوزراء في أمور الدولة[91]، وباشتراك مدحت باشا في عملية خلع السلطان انتقل من مصاف رجال الحكم إلى عداد الثوار، ولا يستطيع أي سلطان أن يثق في رجل اشترك في عملية الخلع ولو كان الحاكم الجديد خصم الحاكم القديم[92]، فعينه السلطان عبد الحميد الثاني في منصب الصدر الأعظم وأمره بتشكيل لجنة برئاسته لوضع مواد الدستور، وتم طرح عدة مسودات، ليتم قبول المسودة التي وضعها مدحت باشا بعد إجراء بعض التعديلات[93].

و- مدحت باشا وإعلان الدستور 1876:

بعد تعيين مدحت باشا كصدر أعظم بأربعة أيام، أصدر إليه فرمان سلطاني لإعلان الدستور والمشتمل على مائة وتسع عشرة مادة، وتلاه في إستانبول في 23 كانون الأول 1876[94]، في احتفال كبير وتم تعميمه في كل أنحاء الدولة العثمانية من أجل مباشرة العمل بأحكامه[95]، وأهم ما جاء فيه بالنسبة لذلك العهد المساواة بين الملل، وحرية التعليم على أن يكون إجبارياً، وحرية المطبوعات، وإلغاء السخرة، ومنع المصادرة والتعذيب، وجعل اللغة التركية لغة رسمية للدولة العثمانية[96]، وقد مارس مدحت باشا ضغوطاً مستمرة على السلطان، وحاول تجنيد جيش تحت قيادته وأطلق عليه اسم جيش الأمة[97]، وأكد السلطان عبد الحميد الثاني أن مدحت باشا ورجاله كانوا يخططون لإغتياله والتخلص منه[98]، لإعادة أخيه مراد الخامس بعدما أشيع أنه تعافى[99]، فعزله

---

[91] أصاف، حضرة عزتلوا يوسف بك: تاريخ سلاطين بني عثمان، مكتبة مدبولي، ط1، 1995، ص 46.

[92] بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ص 56.

[93] عبد القادر، عصمت: دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006، ص 25- 26.

[94] فريد بك، محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة محمد أفندي، مصر، ط2، 1896، ص 328.

[95] أبو ميزر، ابتسام: سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية، مذكرة ماستر، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2017، ص 4.

[96] البارودي، فخري: مذكرات البارودي، دار الحياة، بيروت، دمشق، 1951، ص 78.

[97] كولن، صالح: سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، القاهرة، 2014، ص33.

[98] الثاني، مذكراتي السياسية، ص71.

[99] شاكر، التاريخ الإسلامي في (العهد العثماني)، ص 186.

السلطان من منصبه في 5 شباط عام 1877 ونفاه بتهمة الخيانة العظمى[100]، ولم تدم صدارته سوى ثمانية وأربعون يوماً[101]، فبعد أن نجح مدحت باشا في سن قانون للنفي كان أول شخص ينفى وفقاً له، ولما سأل مدحت باشا السلطان عبد الحميد الثاني عن سبب نفيه أجابه أن المادة مئة وثلاثة عشرة[102] من الدستور تخول السلطان حق إبعاد الأشخاص الذين ترى فيهم مديرية الشرطة أن وجودهم يشكل خطر على الأمن والنظام،[103] وقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني بدفع مبلغ من المال لمدحت باشا كمصاريف طريق له فرفض مدحت باشا قبولها[104]، وبعد نفيه إلى أوروبا أعطي له حرية اختيار البلد الذي يحب الذهاب إليه فاختار إيطاليا، ومنها تنقل بين عدة بلدان أوروبية، ثم كتب عدة رسائل يسترحم فيها السلطان ويطلب منه السماح له بالعودة، فكان السماح من السلطان مشروطاً بإقامته مع عائلته في جزيرة[105] كريت،[106] وبعد أربعة أشهر من إقامته فيها عينه السلطان والياً على دمشق عام 1878.

[100] بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس– منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968، ص 589 .

[101]قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص 71.

[102]المادة مئة وثلاثة عشر: تنص على أنه من ثبت عليهم بتحقيقات إدارة الضابطة الموثوقة بأنهم أخلوا بأمنية الحكومة يكون إخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصراً بيد اقتدار الحضرة السلطانية.

فارس، سليم: كنز الرغائب في منخب الجوائب، ج6، مطبعة الجوائب، الأستانة، ط1، 1961، ص 26.

[103] قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص 68.

[104]طوباش، عثمان نوري: العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة، تر: محمد حرب، دار الأرقم، إستانبول، 2016، ص 204.

[105]جزيرة كريت: تقع في البحر المتوسط، وهي كثيرة الجمال ذات طبيعة قاسية وأرض وعرة، فتحها العثمانيون في الثامن عشر من أيلول عام 1699 بعد حصار دام سنتين وثلاثة أشهر وسبع وعشرين يوماً.

س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحادات، دار ابن حازم، بيروت، ط1، 2002، ص 421.

[106]علي، أورخان محمد: السلطان عبد الحميد الثاني، بيوك جاملجة، إستانبول، ط4، 2008، ص 132.

ز- ولاية مدحت باشا على سوريا 1878-1880:

تلقى مدحت باشا أمراً أثناء وجوده في جزيرة كريت بتعيينه والياً على سوريا،[107] وكان مدحت باشا كما ذكر في مذكراته قد وصل الى سن الشيخوخة وتعب فكره وضعفت قواه، ومع كل هذا فقد عول على إصلاحها قائلاً: "إن حب الإصلاح قد اختلط بدمي فكان كالمرض المزمن الذي لا يبرأ منه"[108]، واستمرت ولايته مدة سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام،[109] وكانت أحوال الولاية تحتاج الى إصلاح سريع، ويؤكد ذلك التقارير التي أرسلها مدحت باشا الى إستانبول حول ضرورة إجراء إصلاحات في الولاية والتي تعاني من الضعف الإداري،[110] فقد كان مدركاً لأهمية إصلاح الإدارة المدنية قبل باقي مفاصل الولاية لأنها أكثر تماساً مع الأهالي لتكون مفتاح باقي المؤسسات الحكومية الأخرى التي لا تقل أهمية عنها، كما حاول أن ينهض بواقع الولاية المالي فعمل على تنظيم الضرائب والرسوم وفق القوانين التي أصدرتها الدولة العثمانية،[111] وكذلك شكل دوائر العدلية والبوليس والدرك، وعزم على كشف نهر بردى من ساحة المرجة الى باب توما، وهدم الأبنية على أطرافه، وإقامة شارعين عظيمين على يمينه ويساره وأسس مكتب الصنائع،[112] وأنشأ السوق الشهير باسمه سوق مدحت باشا، وبنى العديد من المدارس الحديثة، ودعم جمعية المقاصد الخيرية وشهد عهده تعاون المسلمين والمسيحيين لتأسيس غرفة تجارة دمشق، ووسع كثيراً من شوارع دمشق وشق الطرق الجديدة،[113] وأنشأ خط الترامواي بين طرابلس الشام والمينا وعمد الى ترقية التجارة

[107]قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص 75.

[108]حتاته، مذكرات مدحت باشا، ص 36.

[109]المنجد، صلاح الدين: ولاة دمشق في العهد العثماني، دار الكتب المصرية، دمشق، 1949، ص 93.

[110]هيشر، العراق في عهد مدحت باشا، ص 32.

[111]الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 288.

[112]المنجد، ولاة دمشق في العهد العثماني، ص 93.

[113]سركو، ماري: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني، الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق.

والزراعة، وقضى على تمرد الدروز[114]، وأنهى الخلافات وأطلق حرية المطبوعات ونشط الكتاب والأدباء والشعراء[115] وبالرغم من المحاولات التي بذلها مدحت باشا في ولاية سوريا إلا أنه لم يستطع إنجاز إصلاحات حقيقية مقارنة بما حققه في فترة حكمه لولاية بغداد، كما ظهر أثناء ولايته عليها شعارات على جدران بيروت ودمشق عام 1880 تدعو الناس الى الثورة والعصيان على العثمانيين، وكان السلطان عبد الحميد مدركاً لقوة شخصية مدحت باشا على الصعيد الداخلي والخارجي[116] فخشي السلطان أن يحول الولاية لقطر مستقل ولذلك وصلت برقية من إستانبول بعزل مدحت باشا عن ولاية دمشق وتعيينه والياً على أزمير.[117]

ح- ولايته على أزمير 1880-1881:

كانت ولاية أزمير[118] في خلل واضطراب،[119] وتحتاج لإصلاحات كثيرة أولها القضاء على الأشقياء وقطاع الطرق حيث كثر فيها أشقياء الأجانب والوطنيين ولم تكن هناك وسيلة لإعادة الأمن الى نصابه، غير إيجاد عدد من عساكر الضابطة، فأحدث فرقاً من البوليس والجندرمة، وتمكن بذلك من إعادة الأمن خلال مدة قصيرة،[120] ثم عكف على إصلاح شؤون الولاية لكن خصومه قاموا بتفسير شؤون الإصلاح بطريقتهم الخاصة غير الصحيحة، ونتيجة لذلك قام الباب العالي برفض كل المشاريع

---

[114]الدروز فرقة باطنية، تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها من الإسماعيلية، وتنسب إلى نشتكين الدرزي، نشأت في مصر، لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى بلاد الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها فلا تنشرها على الناس ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.
نبهان، يحيى محمد: معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا العلمية، عمان، ط1، 2008، ص 144.

[115]محمد، أحمد صالح علي: الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مجلس البحوث التاريخية، جامعة الزقازيق، مصر، 2018، ص91.

[116]الأسدي، مدحت باشا والياً لسوريا، ص 290.

[117]حتاته، مذكرات مدحت باشا، ص 44.

[118]أزمير: مدينة تركية، تقع على خليج في الأرخبيل، مركز ولاية آيدين ولواء صوغله.
س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص 52.

[119]زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، هنداوي، القاهرة، 2012، ص 304.

[120]حتاته، مذكرات مدحت باشا، ص 44.

الإصلاحية التي تقدم بها مدحت باشا، وأرسل المابين[121] عدداً من الجواسيس لمراقبة مدحت باشا، كما قامت بعض الصحف اليونانية بشن حملة شديدة اللهجة على الدولة العثمانية فقيل في العاصمة أن مدحت باشا حرّض تلك الصحف لكتابة تلك المقالات، ثم نشرت صحف الدولة العثمانية أن مدحت باشا قد جن جنونه ولا بد من عزله من ولاية أزمير،[122] ولم يطل بها مقامه حتى تحركت مسألة وفاة السلطان عبد العزيز، واتهم مدحت باشا بقتله.[123]

4- محاكمة مدحت باشا 1881:

أمر السلطان عبد الحميد الثاني، وبعد خمس سنوات من وفاة عمه السلطان عبد العزيز، بفتح قضية مقتل عمه ومحاولة كشف المتورطين في الجريمة،[124] وأشيعت الإشاعات أنه لم ينتحر وإنما قتل بإيعاز من مدحت باشا وأصحابه، وبلغَ مدحت وهو في أزمير أنه يراد القبض عليه والتحقيق معه،[125] وفي السابع عشر من آذار عام 1881 أيقظوا مدحت من نومه في بيته في أزمير وأخبروه أن الجنود على وشك تطويق البيت، فخرج من الباب الخلفي واتجه الى القنصلية الفرنسية لكون القنصلية الإنكليزية بعيدة عن بيته، فكان بذلك أول شخص شغل منصب الصدارة العظمى يلتجأ الى قنصلية بلد أجنبي طالباً للحماية،[126] فأمر السلطان عبد الحميد الثاني القنصلية الفرنسية بتسليم مدحت باشا فوراً دون تأخير، وفي الثالث والعشرون من أيار وصل

---

[121]المابين: الديوان الملكي أي باب ما بين الباب العالي والباب الهمايوني ومخصص لنقل أوامر السلطان الى الصدر الأعظم.

عامر، محمود: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، المجلد 1، العدد 2، 2013، ص 378.

[122]محمد، الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، ص 93.

[123]أمين، أحمد: فيض الخاطر، عدد الأجزاء عشرة، هنداوي، القاهرة، 2012، ج5، ص 207.

[124] محمد، الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، ص 94.

[125]أحمد أمين فيض الخاطر، مرجع سابق، ص 207.

[126] علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص 135.

مدحت باشا الى إستانبول عن طريق البحر وتم اعتقاله بتهمة قتل السلطان عبد العزيز وعيَّب السلطان عبد الحميد الثاني على مدحت باشا لجوؤه الى القنصلية الفرنسية وإن هذه الحادثة أحنت رأس العثماني أمام الصديق وأمام العدو،[127] وقُدِّم في السابع والعشرين من حزيران عام 1881 الى محكمة[128] يلدز،[129] وظلت المحكمة في انعقاد دائم من السابع والعشرين الى التاسع والعشرين من حزيران، وجلساتها علنية ومفتوحة لكل الناس وفي آخر أيام انعقاد المحكمة في التاسع والعشرين من حزيران قام رئيس المحكمة بنطق الحكم على مدحت باشا بالإعدام،[130] وعندما أدان القضاء مدحت باشا بقتل السلطان عبد العزيز، لم ينس السلطان عبد الحميد الثاني الدور الإيجابي في وزيره حيث قال: "في الحقيقة كنت دائم التخوف من مدحت باشا ولكن وقت صدور حكم المحكمة رأيت أن إنساناً معروفاً بهذا القدر يستوجب ألا ينفذ فيه حكم الإعدام"[131] ثم ما الفائدة فيما لو قتلته؟ بكل تأكيد إنني لن أفيد شيئاً إذا وضعت عدوي في مصاف الشهداء،[132] لذلك تمهل السلطان عبد الحميد الثاني في المصادقة على حكم الإعدام، وخفف الحكم بالنفي والسجن المؤبد،[133] ونقل مدحت باشا الى قلعة الطائف نفياً وحبساً في السجن العسكري،[134]وحاولت إنكلترا تهريبه على ظهر بارجة إنكليزية من منفاه في

[127]حرب، محمد: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، ط1، 1990، ص 74.

[128]محكمة يلدز: قصر عثماني يتكون من عدد كبير من الأجنحة والدور، يقع في إستانبول، كان مقر السلطان عبد الحميد، ومن هناك كان يدير شؤون الدولة العثمانية.

محفوض، زين الدين وحيد: الإدارة العثمانية في مرحلة التنظيمات (1839–1909)، رسالة ماجستير، جامعة تشرين 2016، ص 110.

[129]حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ص 75.

[130] محمد، الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، ص 95–98.

[131]حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ص 75.

[132]حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 79.

[133]علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص 139.

[134]حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 47.

الطائف إلا أنها فشلت في ذلك، فبقي في السجن الى أن توفى[135] خنقاً بوسادته في ليلة العشرين من نيسان عام 1884، بعد عدة محاولات لسمه منها (باللبن والماء).[136]

- **الخاتمة:**

مدحت باشا من الشخصيات التي استطاعت ترك بصمات واضحة على سير الأحداث في الدولة العثمانية، حيث كان له دور فعال في صياغة الإدارة العثمانية، فاستحق بجدارة لقب أبو الدستور، وأبو الأحرار، حيث انتهج سياسة إصلاحية تهدف إلى تحسين واقع الولايات التي تولى عليها، وجعلها تلحق بركب الحضارة والتقدم، وعليه فإن المجهودات التنظيمية التي بذلها مدحت باشا تؤكد أنه كان رجلاً من طراز فريد مؤمناً بفكرتهِ الإصلاحية على الرغم من الصعوبات التي واجهته.

- **نتائج الدراسة:**

- شخصية مدحت باشا من الشخصيات البارزة في الدولة العثمانية والتي حازت على جانب كبير من الدراسة حيث أثارت شخصيته الجدل وكانت موضع نقاش وجدال بين كثير من المؤرخين.
- إن البيئة التي نشأ فيها مدحت باشا جعلت منه رجلاً مصلحاً مستنيراً يسعى لإصلاح شؤون الدولة العثمانية والولايات التابعة لها، حيث استطاع لفت الأنظار إليه وهو في سن مبكر، فترقى من أصغر وظيفة في الحكومة العثمانية الى منصب الصدارة العظمى.
- ساهم بشكل بارز في بث روح الإصلاح والتجديد في الدولة العثمانية والولايات التي تولى عليها، وعمل على تحقيق بعض التقدم والإصلاح في شتى المجالات.

[135] حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ص75.

[136] حتاته، مذكرات مدحت باشا، ص 89-90.

- لم تكن إصلاحات مدحت باشا لتعبر عن سياسة جديدة للدولة العثمانية ورغبتها في الإصلاح وحسب بل كانت تعبر عن روح إصلاحية عُرِفَ بها مدحت باشا ولازمته خلال حكمه للولايات التي تولى عليها.
- يصح أن تكون أعمال مدحت باشا نموذجاً للمثل العليا في باب الخدمة العامة، تتجلى فيه إمكانيات الفرد الواحد وما يستطيع أن يقوم به من أعمال جسيمة حتى في الأحوال الشاذة، وذلك إذا اتخذ الإخلاص رائداً لهُ والجد شعاراً لجهده.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

المصادر:

1. الثاني. عبد الحميد، مذكراتي السياسية، تر: علي وهبي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1977.
2. حتاته. يوسف كمال بك، مذكرات مدحت باشا، مطبعة هندية، مصر، ط1، 1907.
3. حرب محمد، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، ط1، 1990.
4. ساسون. عزراسمويل، مدحت باشا، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، 1910.
5. فارس سليم، كنز الرغائب في منخب الجوائب، ج6، مطبعة الجوائب، الأستانة، ط1، 1961.
6. فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، 1981.
7. فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة محمد أفندي، مصر، ط2، 1896.
8. لهارد. انكه، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، تر: محمود علي عامر، دار رسلان، دمشق، 2017.
9. لونكرك. ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر: جعفر الخياط، مطبعة الأهلية، بغداد، 1941.

المراجع العربية:

1. أصاف. حضرة عزتلوا يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان، مكتبة مدبولي، ط1، 1995.
2. الأعظمي. علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث، مطبعة الفرات، بغداد، 1926.
3. أمين. أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.
4. الجندي. أنور، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار ابن زيدون، بيروت، ط1، 1987.
5. أوغلي. عائشة عثمان، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، دار البشير، عمان، ط1، 1991.
6. البارودي. فخري، مذكرات البارودي، دار الحياة، بيروت، دمشق، 1951.
7. برجاوي. سعيد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية، بيروت، 1993.
8. بطي. رفائيل، الصحافة في العراق، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1955.
9. بني المرجة. موفق، صحوة الرجل المريض، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984.
10. الجميل. سيار، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، عمان، ط1، 1997.
11. زيدان. جرجي، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، هنداوي، القاهرة، 2012.
12. زين العابدين. محمود، عمارة المساجد العثمانية، دار قابس، بيروت، ط1، 2006.
13. سركو. ماري، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني، الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق.

14.شاكر. محمود، التاريخ الإسلامي في (العهد العثماني)، المكتب الإسلامي، ط4، 2000.
15.الشرقاوي. أحمد، جغرافية الممالك العثمانية، دار البشير، ط1، 2018.
16.الشناوي. عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
17.الصباغ. عبد اللطيف، تاريخ الدولة العثمانية، بنها، 2013.
18.طربين. أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986.
19.طقوش. محمد سهيل، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، دار النفائس، بيروت، ط1، 2015.
20.عبد القادر. عصمت، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006.
21.العلاف. عبد الكريم، بغداد القديمة، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1960.
22.علي. أورخان محمد، السلطان عبد الحميد الثاني، بيوك جاملجة، إستانبول، ط4، 2008.
23.عمر. عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516–1922)، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.
24.عوض. لويس، الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
25.فيض الخاطر. أحمد أمين، ج5، هنداوي، القاهرة، 2012.
26.قلعجي. قدري، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، دار العلم، بيروت، ط3، 1958.
27.الكرملي. أنستاس ماري، خلاصة تاريخ العراق، مؤسسة هنداوي، 2017.
28.كولن. صالح، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، القاهرة، 2014.
29.كوندز. أحمد آق – أوزتوك. سعيد، الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، مصر، 2008.

30.اللامي. فردوس عبد الرحمن كريم، الحياة الاجتماعية في بغداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2017.
31.لوتكسي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، ط8، 1985.
32.محمد. أحمد صالح علي، الصراع بين السلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مجلس البحوث التاريخية، جامعة الزقازيق، مصر، 2018.
33.المرسى. الصفصافي أحمد، إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999.
34.المنجد. صلاح الدين، ولاة دمشق في العهد العثماني، دار الكتب المصرية، دمشق، 1949.
35.النجار. جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991.
36.نظمي. وميض جمال عمر، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بغداد، ط2، 1985.
37.ياغي. إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1997.

المراجع المترجمة:

1. أورتايلي. ايلبير، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبد القادر عبد اللي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2014.
2. بروكلمان. كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس– منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968.
3. دولينا. أنينل اسكندرفنا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
4. رامزور. ارنست، تركية الفتاة وثورة 1908، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة فرنكلين، بيروت، 1960.
5. طوباش. عثمان نوري، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة، تر: محمد حرب، دار الأرقم، إستانبول، 2016.
6. مانتزان. روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج2، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1992.

المعاجم:

1. الخطيب. مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996.
2. بركات. مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 2000.
3. س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحادات، دار ابن حازم، بيروت، ط1، 2002.
4. صابان. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
5. صابان. سهيل، معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، الرياض، ط1، 2005.
6. نبهان. يحيى محمد، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا العلمية، عمان، ط1، 2008.

إطروحات الدكتوراه:

1. الدهيبي. حسين، الدور السياسي للعلماء والأعيان شيوخ الحرف في مدينة طرابلس الشام (1840–1914)، إطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بيروت العربية، 2016.
2. نوار. عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968.

مذكرات الماستر

1. أبو ميزر. ابتسام، سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية، مذكرة ماستر، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2017.
2. إيمان. سليماني، الوالي مدحت باشا ونشاطه في الدولة العثمانية بين العمالة والإخلاص (1822–1884)، مذكرة ماجستير، الجزائر، جامعة بو ضياف، 2019.
3. بعيو. غانية، التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية، مذكرة ماستر، جامعة الجزائر، 2009.
4. تقروت. أحلام – أوسال. حياة، إصلاحات مدحت باشا في العراق، مذكرة ماستر، جامعة الجيلالي، 2015.
5. تومي. حمزة، الإصلاحات العثمانية بين المتطلبات الداخلية والضغوط الأوروبية، مذكرة ماستر، جامعة محمد بو ضياف، 2015.
6. حسين. شايب الذقن، إصلاحات مدحت باشا في العراق، مذكرة ماستر، جامعة محمد بو ضياف، 2015.
7. كاظم. محمد جودي – محيسن. يسرى، قانون التجنيد العسكري العثماني وتطبيقه في ولايات العراق الثلاث، مذكرة ماستر، جامعة القادسية، 2018.

8. محفوض. زين الدين وحيد، الإدارة العثمانية في مرحلة التنظيمات (1839-1909)، مذكرة ماستر، جامعة تشرين، 2016.
9. هيشر. منيرة، العراق في عهد مدحت باشا، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018.

الموسوعات:

1. شامي. يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993.

الدوريات (مقالات- مجلات- دراسات):

1. الأسدي. كاظم، مدحت باشا والياً لسوريا، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد السابع، العدد الثاني، 2009.
2. عامر. محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، المجلد 1، العدد 2، 2013.
3. عبد الرزاق. صلاح، إصلاحات مدحت باشا في بغداد، مجلة الزمان، دراسة (3-4)، 2019/11/23.
4. نصار. عبد العظيم عباس، الأراضي الأميرية في وثائق عثمانية، مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، المجلد 4، العدد 6-7 2010.